فجر الهدى والإيمان

صحابيات حول الرسول صلى الله عليه وسلم

رَمْلة بنتُ أبي سسفيان

أم المؤمنين رضي الله عنها

الصابرة

إعداد : زهير مصطفى يازجي

مراجعة : يوسف عساني

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم العربي بحلب ولايجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر .

مَنْشُورَاتُ
دَارِ ٱلْقَلَمِ ٱلْعَرَبِيِّ بِحَلَبَ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف، ٢١٣١٢٩ - ص.ب: ٧٨ - تلكس: ٣٣١٦٩٢ ريفكو

رَمْلة بنت أبي سفيان

ولادةُ رمْلة

وُلِدت أم المؤمنين ، رملة بنت أبي سفيان ، في العام الخامس والعشرين قبل الهجرة .

والدها أبو سفيان : صخر بن حرب بن أمية .. وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية .. بنت زعيم قريش .

زواجها الأول

كانت رملة رضي الله عنها ، متزوجة من عبيد الله بن جحش[1] وكان شابا وسيما ذو حسب ونسب ، عالما متفقها بالديانات السماوية، وكان ملازما لورقة بن نوفل ، الذي كان أقرب منه إلى التنصُّر .

---

(١) عبد الله بن جحش : أخو زينب بنت جحش أم المؤمنين .

وعاشت رملة العاقلة الرزينة في بيت زوجها سعيدةً هانئةَ البال ، إلى أن كانت نبوةُ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فدخل الزوجان في الدين الجديد ، وحسُنَ إيمانهما وإسلامهما .

وعندما اشتدت وطأة عذاب المشركين للمسلمين ، كانت رملة رضي الله عنها ، في عداد المهاجرين بدينهم إلى أرض الحبشة مع زوجها عبيد الله .

وماكاد عبيد الله يطأ أرض الحبشة ، حتى عاوده الحنين إلى النصرانية ، وصدقت رؤيا رملة .

إذ أفاقت في يومٍ ما على حلمٍ مزعج ، رأت فيه زوجها قبيحا بعد أن كان جميلا ، وكريها بعد أن كان حبيبا ، وتقدم إليها ذاتَ صباح يعلن نصرانيته قائلا :

– ياأم حبيبة ، إني نظرت في الدين ، فلم أرَ دينا خيرا من النصرانية ، وكنت قد آمنت بها ، ثم دخلت في دين محمد ، ثم قد رجعت إلى النصرانية .

فقالت أم حبيبة رضي الله عنها :

– والله ماخيرٌ لك هذا .

ولم يزلْ عبيد الله على نصرانيته ، رغم محاولة رملة رضي الله عنها، ردَّه إلى الدين الحنيف ، يشرب ويحتسي الخمرة حتى مات في الحبشة على نصرانيته .

الأرملة الحزينة

وبقيت رملة رضي الله عنها ، في بلاد الغربة ، بعيدا عن الأهل والوطن ، تعاني من عذابين ، عذاب الغربة ، وعذاب الترمُّلِ .

لكن عزاءَها كان في ابنتها حبيبة التي كانت قد ولدتها من عبيد الله ، فكانت تحملها وتضمها إلى صدرها الحنون ، باكيةً آسفةً ، بعد أن فقدت معيلها(١) ، معتمدة على الله جل جلاله ، الذي أعانها على الصبر وتحمل الصعاب ، ليكافِئها بعد طول عذاب خير مكافأة .

---

(١) معيلها : زوجها .

النبي الخاطب

كان النبي ، صلى الله عليه وسلم قد أرسل كتبه إلى الملوك والأمراء ، يدعوهم فيها إلى الإسلام .

ومن بين هذه الكتب ، كتابه إلى النجاشي ملك الحبشة ، الذي كان نصرانيا ، دعاه فيه إلى الإسلام ، وضمنه طلبا كريما هو أن يخطب له النجاشي رملة بنت أبي سفيان .

وقبِل النجاشي هذه المهمة ، وأرسل جارية له تدعى " أبرهة " لتزفَّ إليها الخبر السعيد ، ولتبشرها بالبشرى السعيدة .

ووقفت أبرهة أمام رملة رضي الله عنها ، مستبشرة متهللة قائلة :

– إن الملك يقول لك : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد أرسل يخطبك لنفسه ، فماذا تقولين ؟ .

فما كان من رملة الحزينة إلا أن صاحت فرحةً :

– بشركِ الله بخير ياأبرهة .

وطلب النجاشي من رملة رضي الله عنها ، أن توكِل رجلا لإتمام الزواج ، فوكَلَتْ خالد بن سعيد بن العاص .

وفي المساء جمع النجاشي المسلمين المهاجرين ، وخطب فيهم قائلا :

– الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن .. وبعد ، فإن محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، قد كتب إليَّ أن أزوجه أم حبيبة ، رملة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ماطلب ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار .

عندها وقف وكيلها خاطبا ، فتكلم قائلا :

– الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستنصره ، وأشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعد ، فقد أجبت إلى مادعا إليه رسول الله ، وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان .

ودفع النجاشي صداق(١) رملة إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها ، ثم أراد القوم أن ينصرفوا ، فأبى عليهم النجاشي إلا أن يأكلوا الطعام قائلا :

– إن سنة الأنبياء إذا تزوجوا ، أنْ يُؤكل طعامٌ على التزويج .

وكانت رملة رضي الله عنها ، قد بعثت إلى مبشرتها ، جارية النجاشي "أبرهة" لتكرمها ، إلا أنها رفضت أخذ شيء من العطايا قائلة:

– عَزَمَ عليَّ الملك ألاّ أُنْقِصك شيئا ، وماحاجتي إليك إلا أن تقرئي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم منّي السلام ، وتعلميه أني قد اتبعت دينه . وقد أمر الملك نسائه أن يبعثن إليك بكل ما عندهنَّ من العطر .

في بيت النبوة

وعادت رملة إلى المدينة المنورة ، محملة بالهدايا والعطور ، ولما وصلت ، أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يصطحب رملة رضي الله عنها ، وينزلها في منزلها .

---

(١) صداق : مهر .

ثم دخل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم على أهله ، فشمَّ رائحة الطيب تفوح منها فقال :

- ''إنهن قرشيات بطاحيات قرويات، ليس بأعرابيات ولابدويات''.

و لم تنس أم حبيبة أن تقرئ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، سلام أبرهة ، واهتمامها بها ، وفرحها عندما سمعت نبأ خطبتها إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وما فعلت من أجل تجهيزها وإعدادها .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

- '' وعليها السلام ورحمة الله وبركاته '' .

وسُرَّ النبي ، صلى الله عليه وسلم بأمِّ حبيبة ، فقد كانت ذات فأل حسن ، إذ منَّ الله عليه وعلى المسلمين آنذاك بفتح خيبر ، وعاد المهاجرون إلى المدينة بعد طول غياب ، وفيهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

- '' بماذا أفرحُ ؟ بفتح خيبرَ أم بقدوم جعفر ؟ '' .

وهكذا استطاع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بحكمته أن يحقق بهذا الزواج غايات كثيرة ، وينال أغراضا عظيمة ، فقد لقيت أم حبيبة مواساةً ورِفقاً من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نبي الرحمة والإنسانية ، وسكنت نفسها بعد قلق واضطراب .

وكذلك حقق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم انتصارا عظيما على أكبر عدوٍ له ، والذي كان يتزعم كل مؤامرة ويترأس كل جيش ضد المسلمين وهو والدها : أبو سفيان بن حرب .. الذي ثارت ثائرته ، فغضب أشد الغضب عندما علم بزواج ابنته من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال :

- ذلك الفحلُ لايُجْدَعُ(١) أنفه .

﴿ وجها لوجه مع أبيها ﴾

لم يكن إيمان رملة ، رضي الله عنها ، هشا ضعيفا ، بل كان قويا راسخا رسوخ الجبل الأشم ، فهاهي تواجه أباها المشرك ، وتدعوه إلى

---

(١) يُجْدَع : يُقْطَع ، أي أنه كفء كريم لايُردُّ .

ترك عبادة الأوثان والأصنام ، إلى عبادة الواحد الأحد ، غير خائفة من سطوته وجبروته ، بل كانت واثقة كل الثقة ، مؤمنة كل الإيمان بالإسلام وبنبيه ، صلى الله عليه وسلم ، قائلةً :

أبي الإسلامُ لاأبَ لي سواهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم(١)

وكان أبو سفيان قد وفِد إلى المدينة المنورة ، طالبا من النبي ، صلى الله عليه وسلم تمديد المهلة المحددة لصلح الحديبية ، المتفق عليه بين المسلمين والمشركين ، إلا أن النبي ، صلى الله عليه وسلم رفض ذلك الطلب .

فما كان من أبي سفيان ، إلا أن ذهب إلى ابنته رملة رضي الله عنها ، يلتمس وَساطتها ، ثم أراد أن يجلس على فراش النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فطوَت الفراش عنه .

فقال أبو سفيان لها :

– يابُنيّة ، ماأدري أَرَغبْتِ بي عن هذا الفراش ، أم رَغَبْتِ به عنيّ !؟ .

---

(١) قيس وتميم : قبيلتان عربيتان .

فأجابته قائلةً :

– بل هو فراش رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

فقال لها أبو سفيان :

– والله لقد أصابكِ بعدي يابنية شرٌّ .

فقالت رملة ، رضي الله عنها :

– بل هداني الله للإسلام ، فأنت ياأبتِ سيد قريش وكبيرها ، فكيف يطاوعك عقلك عن الدخول في الإسلام ؟ وأنت تعبد أحجارا لاتضرُّ ولاتنفع ولاتسمع ولاتبصر .

فقال أبو سفيان :

– واعجباه ، وهذا منك أيضا .. أأترك ماكان يعبد آبائي وأجدادي وأتبع دين محمد ؟ .

ثم خرج من عندها غاضبا يكاد يتمزق من الغيظ بسبب فشله في مهمته التي جاء من أجلها ، وعاد إلى مكة يجر أثواب الخيبة والخسران .

فلقِيَتهُ امرأته هند بنت عتبة ، فعاتبته وقالت :

– قُبِحْتَ من سفيرِ قومٍ ، فماجئت بخير .

وعندما مات أبو سفيان ، دَعَتْ أم حبيبة بطيب ، فطلت به ذراعيها ثم قالت :

– إني كنت عن هذا لغنية ، لولا أني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول :

– " لايحل لامرأة ، تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحُدَّ(١) على ميت فوق ثلاث ، إلا على زوج ، فإنها تُحُدُّ عليه أربعة أشهرٍ وعشراً " .

﴿ مع أم حبيبة ﴾

نقف أمام أم حبيبة رضي الله عنها ، وقفة اعتزاز وافتخار ، نُكْبِرُ فيها صلابتها في الإيمان ، وعظمةَ شخصيتها ، وسموَّ أخلاقها ، وبعدَها عن مُثُلِ الجاهلية ، وتنكرها لعبادة الأوثان .

---

(١) تُحُدَّ : تحزن .

فهي لم تعتمد إلا على الله، ولم تثق إلا بالله ، ولم تلجأ إلا إلى الله، ولم تستعن إلا بالله ، وفوق هذا وذاك فقد تَوَّجَهَا الله عز وجل فكانت أما للمؤمنين ، وزوجة لخير البشر أجمعين .

وكانت من بنات عمِّ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسبا إليه منها ، ولا في نسائه من هي أكثر صداقا منها ، ولا من تزوج بها وهي نائية(١) الدار أبعد منها .

وعاشت رضي الله عنها ، في بيت النبوة ، آمنة مطمئنة ، لم يخالج قلبها حسدٌ ، ولم يعترِ فؤادها غيرةٌ ، فعندما حضرتها الوفاة ، أرسلت تطلب عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، فقالت لها :

– قد كاد أن يكون بيننا مايكون بين الضرائر ، فغفر الله لي ولك ماكان من ذلك .

فاستغفرت لها عائشة رضي الله عنها ، فأنار وجهها بنور الإيمان والرضا وقالت :

– سررْتِني ، سَرَّكِ الله .

---

(١) نائية : بعيدة .

﴿ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

بعد أن لحِق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، أقامت رملة رضي الله عنها ، في بيتها مخلصة وفية لذكرى خير البشرية، رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وعرف الناس منها ذلك فاحترموها وفاءً لنبيهم ، صلوات الله وسلامه عليه .

ونأَتْ بنفسها عن التدخل بالفتن التي حدثت قولا وفعلا ، ولم تتحيز لفريق دون آخر ، إلا من روايتها لبعض أحاديث النبي ، صلى الله عليه وسلم .

فقد حدَّثت أم حبيبة ، رضي الله عنها عن زينب بنت جحش ، قالت :

– استيقظ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم مُحْمَرّاً وجهه ويقول :
– " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرٍ قد اقترب " .

فقالت أم حبيبة ، رضي الله عنها :

– يارسول ا لله ، أَنَهْلَكُ وفينا الصالحون ؟

فقال النبي ، صلى ا لله عليه وسلم :
– " نعم ، إذا كَثُرَ الخبث " .

وفاتها

أحسَّت أم حبيبة ، رضي ا لله عنها في العام الرابع والأربعين من الهجرة ، بالضعف والوهن يسري إلى جسمها ، فما هي إلا أيام حتى لفظت أنفاسها الأخيرة ، فدُفِنَت بالبقيع(١) .

رضي ا لله عنها ، وأنزلها منزلا مباركا
وألحقنا بها في زمرة عباده الصالحين

---

(١) البقيع : مكان قرب المدينة .